مصرى من الخارج

عرفته قبل أن يسافر ولقيته بعد عودته من الخارج ، وأشهد لقد آمنت إيماناً لن يكون بعده جحود بما للخارج من عظمة ، وتعاظمنى ما بيننا نحن الشرقيين من بون فى الحضارة وبين سادتنا الغربيين ، حتى لقد أوشك يتملكنى اليأس من أى إصلاح لحالنا ، إلا أن ترسل جميعاً عالمنا قبل جاهلنا وكبيرنا قبل صغيرنا — اللهم خلا من سلف له أن سافر — بعثة واحدة فى وقت واحد إلى بلاد الغرب لتعود بعدها كأهل تلك البلاد لنا ثقافتهم ولنا ذوقهم ولنا أسلوبهم فيما يأتون من ضروب التفكير والأعمال ماجل منها وما هان

ولا يحملن القارئ كلامى على الغلو والمبالغة ، فالأمر أجل وأخطر من أن يسمح بشىء من هذا ، ولو أنه رأى ذلك الذى أتحدث عنه ، كما رأيته قبل سفره وبعد أوبته ، لأيقن أنى جاد كل الجد مقتصد غاية القصد فيما أقول ، ولحسبك أنه اغترب زمناً ثم عاد إلى وطنه العزيز وهو شخص آخر قد تغير تغيراً جوهرياً من جميع نواحيه إلا ناحية واحدة ستعلم نبأها بعد حين ؛ وقد تم له ذلك على صورة أرى من الميسور معها على أن أصدق أن لماء التمايز وغيره من أنهار انجلترة فعلاً سحرياً ، فما هو أن ينزل المرء فيه ، أو أن يغترف منه غرفة بحسب ، حتى يصبح مهما كانت جنسيته ، بل إنه ليصبح وإن لم تك له جنسية إلا تلك الحلقة المفقودة التى لفقها خيال العلماء ، إنجليزى المظهر والجوهر والخلق!

ما ذهب صاحبنا هذا مذهباً فى حديث له إلا جعل غايته تلميحاً أو تصريحاً أن يلقى فى روع السامع أنه كان فى انجلترة ، وأنه بذلك فوق مستوى من لم يتواف له مثل حظه مهما تكن مكانته ؛ وكيف يكون لمن لم يحظ بذلك مكانة فى نفسه على أية صورة من الصور ؟ كذلك يعتقد ذلك الأستاذ الذى يتندر تلاميذه فيما أعلم من عنهم أنهم يحصون عليه إشاراته إلى ذلك الشرف فى دروسه ، وإن أحدهم ليراهن صاحبه على درس يأمل أن ينسى فيه الأستاذ ذكر ذلك ، ولكنه يخسر كل مرة ، حتى لتحدثه نفسه أخيراً أن يذهب إلى أستاذه فيتوسل إليه أن ينسى مرة واحدة وله ما شاء بعدها من الإذعان والمودة !

وكيف ينسى الأستاذ ، وإن هذا الأمر ليجرى فى نفسه مجرى النفس فى رئتيه لا يكاد يستغنى عنه لحظة ؟ وأول ما يستطيل به عليك — إذا اغتررت بنفسك فطاولته ، وأول ما يشتكى به إليك إذا اطمأن إليك فأفضى إليك بهمه على الرغم مما يتقلب فيه من

علمية فإذا سمحتم باختيار مقتطفات منه نشرناها وإلا فنحن معتذرون .)

أحمد أمين

ولقد توقعت أن نقدى سوف لا ينشر فى الثقافة وكان السبب الأول لهذا أنى وجهت بعض اللوم لحضرة الأستاذ أحمد أمين لأنه نشر فى مجلته ألفاظاً وعبارات كتلك التى وجهها حضرة الأب إلى الدكتور جورجى صبحى وهو له زميل فى الجامعة وأستاذ مثله فيها ، ولأنه قبيل أن ترمى الجامعة المصرية التى هو أحد أساتذتها وعميد كلية الآداب فيها بأنها فقدت شيئاً كثيراً من حسن سمتها ، وأنها تروج إفساد اللغة العربية وأنها تثبت الألفاظ المشبوهة ! !

ولئن كبر على حضرة الأستاذ أحمد أمين أن يوجه إليه هذا النقد من كاتب ، وعسر على نفسه أن ينشر هذا اللوم فى الثقافة ، فما كان أجدره أن يهذب نقد الأب ويطلب منه أن يرفع منه تلك الأقوال الثقيلة الجارحة ، ولكنه قد أجاز نشر كلمات الأب ورضى بأن يحكم على زميل له فى الجامعة أن يدفع غرامة مالية وأن يسجن تلقاء نشره كتاباً قديماً مشوه الأصل ، فكيف لا يرضى لنفسه أن يلام وأن يوخز وخزة واحدة تلقاء ألف وخزة نال بها من أستاذ زميل له فى الجامعة ؟

وبأى حق يطلب الأستاذ منى ألا أعرض بالأب أنستاس مادام قد أجاز للأب نفسه أن يعرض برجل من أفذاذ المصريين ؟ أحرام علينا أن نعرض بالأب ، حلال للأب وللأستاذ أحمد أمين أن يعرضا بالدكتور صبحى ؟ ومن ذا الذى أعطى حضرتيهما هذا الحق وجعلهما فوق التعريض واللوم ما داما قد أجازاه لنفسيهما ؟

فإلى جمهرة أهل الأدب عامة وإلى حضرة الأستاذ محرر الرسالة خاصة ، أحتكم وأطلب الحكم ، وآمل أن أنصف وأن ينصف منى الدكتور صبحى بك فينشر نقدى فى الرسالة فى العدد الذى يتلو العدد الذى تنشر فيه هذه الكلمة إحقاقاً لحق لا ينكره على وعلى الدكتور صبحى إلا جرىء على حقوق الناس

اسماعيل مظهر

نعمة أنه رجل qualified ، وليعذرني القارئ إذا ذكرت عبارته كما يوردها ، فإني لأخشى ألا يؤدي تعريبها ما يريد من معنى ، فيضيف بذلك إلى أدلة جهلي عنده دليلاً آخر ، ولا تنس أن من لم يذهبوا إلى الخارج هم عنده جميعاً جهلاء أدعياء !

وهو لا يسمح أن تكون كفايته موضع شبهة من أحد رئيساً كان أو مرؤوساً ، وإنه ليخطئ الخطأ في جدله لا يختلف اثنان في أنه خطأ ، ومع ذلك فإنك لتزحزح الجبل الراسخ من موضعه ولا تزحزحه هو عن موقفه بأية وسيلة من الوسائل ؛ ويظل في مكانه لا ينحرف قيد شعرة ، ولن تزداد أنت بمحاولتك عنده إلا أنك تمعن في المكابرة وتسرف في الحمق وتبالغ في الغفلة ؛ وإنه لن يؤمن أنه يخطئ إلا إذا كان يجادل أحداً ممن اغتربوا ولو إلى قبرص !

وليته يقف عند هذا الحد ، فإنه ليقحم نفسه في كل جدال فيستمع لحظة حتى إذا قرر أحد المتكلمين أمراً جابهه بأنه يقرر الخطأ قائلاً : « لا ، هـذا خطأ » يقولها في غير مراعاة منه لأي وضع من أوضاع الذوق ، ثم يزيدك تكداً بأن يسمعك نصف عباراته بالإنجليزية ونصفها بالعربية ، ولقد يستكثر النصف على العربية أحياناً فلا يأتي منها إلا ببعض ألفاظ ؛ ويمعن في الكيد لك فيستدل على رأيه بما قرأ من كتب يذكر أسماءها ، والله يعلم نصيب كل منها من الوجود ! ولن يذكر فيما يستدل به من الكتب اسم كتاب عربي . وكيف يفعل هذا وهو لا يتورع أن يقول في صراحة إنه يضن بريال من ماله على شراء أي كتاب عربي بينما يدفع جنيهاً كاملاً ثمناً لأي كتاب إفرنجي ؟ !

إذا صرفت النظر عن طربوشه وسحنته فأنت منه — إذا تبقى بعد ذلك شيء — حيال انجليزي لا حيال مصري؛ فسرواله وحلته وحذاؤه كلها انجليزية اللون والتفصيل ، وغليونه انجليزي الوضع والهيئة والحجم ، وأسلوبه في تفريغ ذلك الغليون بدقه على كعب حذائه وفي حشوه وإشعاله أسلوب انجليزي على رغمي ورغم غيري من الذين ينكرون عليه كفايته ، لأن الغيرة تملأ نفوسهم والحقد يوغر صدورهم

وإنه ليدق الأرض دقاً بحذائه الغليظ إذا مشى ، ويوئ برأسه مع كل دقة إيماءة الكبرياء ، فيكون في ذلك إنجليزياً أكثر من الإنجليز أنفسهم ؛ وهو يكمل بذلك أدلته على أنه قد صار أحد هؤلاء الإنجليز الذين أخذ عنهم ؛ وإني لن يسمني مع هذا إلا أن أسلم له بأنه Qualified حقاً ، وإلا فهل ثمة من فرق بينه وبين من يتشبه بهم ؟

ويسيطر على سلوكه خيال انجليزيته سيطرة عظيمة عند علماء النفس تأويلها ؛ أما أنا فعملي عمل المصور الخبيث ، فأراه إذا تكلم الإنجليزية مثلاً — وقل أن يتكلم غيرها — يلعب بفكيه لعباً لن أستطيع أن أنكر ما فيه من مهارة، وإلا كنت مكابراً حقاً. وأراه يلعب دور اللحن أيضاً فهو لا يقنع بالمبالغة في إمالة ما يتطلب الإمالة من الحروف، ولا بتفخيم بعض الألفاظ وترقيق البعض ، ولا بمد أواخر كلمات واختطاف أواخر كلمات غيرها، ولا بالإتيان بغنة هنا وشغشغة هناك ، ولا بقلقلة لسانه فيما يقابل « الراء » عندنا من الحروف ليخرجه بعد حشره بين وسط اللسان وسقف الفم ... لا يقنع بذلك كله وإنما يحاول أن يكون صوته كصوت الإنجليز فلا يتسق له وا أسفاه إلا خليط من اللغط والمواء يحمل أشد المحتشمين على الضحك . ولقد رأيت أحد الإنجليز يستمع إليه وهم أهل كياسة ودماثة، فلم يتمالك نفسه من الضحك فحجب وجهه بورقة في يده وضحك ملء نفسه ثم عاد يحاول في جهد الاحتشام والوقار ...

وإذا اضطره إلى العربية جانب من عمله جاءك بها في ثوب إنجليزي وتسمعها على لسانه غريبة أكثر عوجاً ولكنة في جرسها وإخراجها مما لو جرت على لسان أحد أساتذة إكستر أوكسفورد وقد تعلمها منذ أسبوعين !

وهو برم بمجتمعنا وتقاليده ، فكل شيء فيه سخيف عنده؛ وإنه ليعترف لديك في غير تحرج أو استحياء أنه لا يزور ذوي قرباه إلا كل عامين أو ثلاثة لأن صدره يضيق بما يرى بينهم من تقاليد وعادات بالية عتيقة . ورجا منه مرة أحد أصدقائه ألا ينسى أمراً من الأمور ، فهال الصديق أن يراه يغضب أشد الغضب ثم يصعر خده ويشمخ بأنفه قائلاً : « أنا أنسى ؟ No, it is you who forgets »

وليس للفن المصرى فى رأيه أثر فى الوجود ، ولا للموسيقى المصرية وقع فى النفس، ولا للأدب نصيب من الحياة، ولا للحياة المصرية كلها وضع من أوضاع الذوق ...

وبعد فليت هذا الذى يتشبه بالإنجليز هذا التشبه ؛ يحاكيهم فى غير الحلة والحذاء والقلبون واللجة ! نعم ليته ينقل عنهم بعض ما بهروا به العالم من خلقهم ، بل ليته علم أن الإنجليز أبعد الناس عن التقليد السخيف لأنهم لا يرون بينه وبين العبقرية كبير فرق !

ليته نقل علمهم وأتقن أسلوب تفكيرهم ، ثم اقتنع بهذا الجد وحافظ على مظهر قوميته وروح وطنيته ، وإن بعض إخوانه ليعود إلى وطنه وما أغناه ماء التماسيح عن ماء النيل ، وما إن يرضى بأن يقيم من نفسه دليلاً على شعوره بحقارته !

وما لهذا المتكلف وللعلم وبيده « رخصة » بأنه كفء على البوام أحسن أو أساء ؛ وما به حاجة إلى أن يعمل فهو سابق غيره إن جد وإن أهمل بحكم هذه الوثيقة بل هذه الحجة الدامغة التى تنفى عن كل شىء ! وإن وثيقته هذه لتذكرنى « بصكوك الغفران » التى كانت تبيعها الكنيسة للناس فى العصور الوسطى فتغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر ، أو بما يكون لصوم يوم عاشوراء عند السنج من عامة المسلمين من جزاء فى الدنيا والآخرة ...

وإن إكبار المجتمع لمثل هذا المصرى الآتى من الخارج ليجرى على أسلوب كأسلوب العوام الذى تراه فى مثل قولهم: « فلان متربى فى بلاد بره » أو كأسلوب بعض جهلاء القرويات فى الجيل المنصرم عند ما كانوا يقولون « فلان جى من استنبول »

لقد ذهب الزمن الذى كان يراد فيه وضع هؤلاء القادمين من الخارج مهما يكن من عجزهم موضع التفوق ومات الغرض من ذلك بتيقظ قوميتنا وانبعاث نهضتنا ؛ فحتام نشهد على أنفسنا بالضعة ونقدح فى كفاية معاهدنا وأساتذتنا ؟

يا معالى وزير المعارف ! لأنت أحد أساطين نهضتنا القومية المباركة ، فمن غيرك اليوم يقتلع هذا الداء من أصوله ويقول لمن يعمل : المكافأة على قدر العمل ، وقيمة كل امرئ ما يحسن ! بذلك تقضى معاليك على عيب من أهم عيوب التعليم فى هذا الجيل الذى يرتقب الخير على يديك .

الضيف

بواب مصر ...

السفير « هربرت »

بوابَ مصرٍ قف بجنب الباب ... أرأيت فى الصحراء غير سراب
حرب ولا مثل الحروب، عجيبة ... دعوى المودة من عِدًى أوشاب
تركتك مصر بموضع ما اختاره ... من قبلُ أقوامٌ ذوو ألباب
سجن أسرت به جنودك طيِّماً، ... حسناً فعلت بجيشك الغلاب !
فلتبق حيث اخترت فى مهجورةٍ ... واسمع صداك جوابَ غير مجاب
يكفى عقاباً للجهول وقوفُه ... فى موقف يكفيه كل عقاب
البحر عن يسراك فارشف رشفة ... وانعم بأمواه لديك عِذاب
والرمل عن يمناك فاطعم سائغاً ... ماشئت بين رُبى و بين هضاب
بابٌ لمصرٍ لم يجادلك امرؤ ... فالزم مكانك فيه كالبواب

عبد اللطيف النشار

غن ...

أيها الشاعرُ قُمْ وانثرْ عَلَى ... عودِك الحانِي وَرَدِّدْ أغنياتِكْ
إنما أنتَ شُعَاعْ ... عن قريبٍ يغربُ
وأمانيكَ خداعْ ... وسرابٌ يكذبُ
اركب الزَّوْرقَ واسْبَحْ فغداً ... لا ترَى الزَّوْرقَ يجرِى ويَهِيم
واجمع الطيرَ حواليك وكنْ ... أوَّل الشادينَ ألحانَ النعيم
وارْتَشِفْ أكوابك السكرى فنى ... هذه الأكوابِ صفوٌ مستديم
وابتذِلْ دنيا الجياعْ ... فهى هم يَنهبُ !
وهى عنف وصِراعْ ... وضَجيجٌ متعبُ !
موكبُ الدنيا يُغَنِّى لحنَه ... فانتَظِمْ فى موكب الدنيا وغَنّ
العذارَى يتهادين به ... راقصات فيه فى صفّ وأمْنِ
قُمْ تَرَنَّمْ ، قمْ وسَبِّحْ للهوى ... وانسَ ما تحمِل من وهْم وحزْن
واهب الحسن المشاعْ ... فقريبًا يذهبُ
إنما الدنيا متاعْ ... ونعيمٌ طيبُ

عبد العليم عيسى